



# محبطات الأعمال في القرآن الكريم دراسة موضوعية

سعد بن سلمان آل مجري



المملكة العربية السعودية  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
عمادة التعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد  
كلية أصول الدين

## عنوان البحث

# محيطات الأعمال في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

المشرف

د. ابراهيم سعيد الدوسري

المناقش

د. عبد الله عبدالعزيز الدغيثر

الطالب

سعد بن سلمان آل مجري

١٤٣٨ هـ / ١٤٣٩ هـ





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُتَدَمِّتًا

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا  
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا  
كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ  
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فكما أن العبد عليه أن يعمل الطاعات، فإنه عليه كذلك أن يحفظها من  
المحبطات والمبطلات، قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا  
تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد: ٣٣].

قال ابن عاشور رحمه الله<sup>(١)</sup>: الإبطال: جعل الشيء باطلاً، أي لا فائدة منه،  
فالإبطال تتصف به الأشياء الموجودة، ومعنى النهي عن إبطالهم الأعمال:

(١) ابن عاشور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ  
جامع الزيتونة وفروعه بتونس. الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٤).

النهي عن أسباب إبطالها، فهذا مهيع قوله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٣). وتسمح محامله بأن يشمل النهي والتحذير عن كل ما بيّن الدين أنه مبطل للعمل كلاً أو بعضاً مثل الردة، ومثل الرياء، في العمل الصالح، فإنه يبطل ثوابه<sup>(١)</sup>. انتهى

### أهمية الموضوع :

- ( ١ ) خدمة كتاب الله عزَّوجلَّ.
- ( ٢ ) أن العبد قد يقع في محبطات الأعمال بقصد أو بغير قصد، و يعلم أو بغير علم.
- ( ٣ ) أن العبد قد يقع في محبط للعمل وهو لا يشعر.
- ( ٤ ) أن محبطات الأعمال متعددة ومتنوعة، فقد تكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد.
- ( ٥ ) أن محبطات الأعمال منها ما يحبط كل الأعمال، كالردة، ومنها ما يحبط بعض الأعمال كالرياء.

### أسباب اختيار الموضوع :

- ( ١ ) تبصير المؤمنين بمحبطات الأعمال الصالحة ليحفظوا أنفسهم من الوقوع فيها.
- ( ٢ ) عملاً بقول حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال: «كان الناس يسألون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ، مخافة أن يُدرِكَنِي»<sup>(٢)</sup>.

(١) التحرير والتنوير (٢٦ / ١٢٧)

(٢) صحيح البخاري ٧٠٨٤

### أهداف البحث :

- ١ ) الوقوف على ما ورد في القرآن الكريم، من محبطات الأعمال.
- ٢ ) بيان أسباب حبوط الأعمال في القرآن الكريم.
- ٣ ) بيان معنى حبوط الأعمال من خلال عرض الأقوال والترجيح والمناقشة.

### خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وخمسة فصول، وخاتمة وفهارس، وذلك على النحو التالي:

- \* المقدمة: وتشمل: أهميّة الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطة البحث، ومنهجه.
- \* الفصل الأول: مفهوم الحبط وما في معناه، وفيه مبحثان :
  - المبحث الأولي: تعريف الحبط لغة واصطلاحاً.
  - المبحث الثاني: الألفاظ المقاربة للحبط ومعانيها.
- \* الفصل الثاني: الشرك والردة والكفر بالله ، وفيه ثلاثة مباحث :
  - المبحث الأول: الشرك.
  - المبحث الثاني: الردة.
  - المبحث الثالث: الكفر.
- \* الفصل الثالث: النفاق وكرهية شيء من القرآن، وفيه مبحثان:
  - المبحث الأول: النفاق .





- المبحث الثاني: كراهية شيء من القرآن .
- \* الفصل الرابع: اتباع ما أسخط الله، ومتابعة أهل الضلال، وفيه مبحثان:
  - المبحث الأول: اتباع ما أسخط الله.
  - المبحث الثاني: متابعة أهل الضلال.
- \* الفصل الخامس: مشاققة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وسوء الأدب معه، وفيه مبحثان:
  - المبحث الأول: مشاققة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.
  - المبحث الثاني: سوء الأدب مع الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.
- \* الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث وتوصياته، ثم الفهارس العلمية اللازمة.

### منهج البحث :

- ١) جمع الآيات القرآنية التي لها صلة بالموضوع، سواءً أكان ذلك لفظاً أم تضميناً .
- ٢) دراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآيات في هذا الموضوع والترجيح والموازنة بينها.
- ٣) الرجوع في دراسة الموضوع وتفسير آياته إلى ما ورد في السنة، وأقوال سلف الأمة.
- ٤) تفسير الآيات التي في الموضوع ودراستها دراسة موضوعية.

- ٥) الربط بين الآيات لخدمة الموضوع، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق
- ٦) إبراز الجوانب التي عالجها القرآن في موضوع البحث، وبيان أهميتها وتأثيرها، وعلاقتها بمقاصد القرآن الكريم .
- ٧) ربط البحث بالواقع الذي نعيشه اليوم، عند وجود مناسبة لذلك .
- ٨) كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها في المتن إلى السور الواردة فيها.
- ٩) تخريج الأحاديث الواردة في البحث، من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بذلك، وإن كانت في غيرهما فيتم عزوها إلى مصدرها مع ذكر قول المحدثين فيها وحكمهم عليها وأما الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين فاكتفي بعزوها إلى مصادرها الأصلية.
- ١٠) عدم الاستشهاد بالأحاديث الموضوعية أو الضعيفة التي أجمع العلماء على وصفها بذلك.
- ١١) نسبة الأقوال إلى قائلها مع عزوها إلى موضعها مكتفياً باسم الكتاب وجزئه وصفحته، وعدم النقل بالواسطة إلى إذا تعذر الوصول إلى أصل المصدر .
- ١٢) العزو إلى المصدر حال النقل منه بالنص: بذكر اسمه والجزء والصفحة، و حال النقل منه بالمعنى: يصدر ذلك بكلمة (يُنظر).
- ١٣) نسبت الأبيات الشعرية إلى قائلها مع عزوها إلى مصادرها.





محيطات الأعمال في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

١٤) التعريف الموجز في الحاشية بالأعلام والفرق والأماكن والبلدان التي يرد ذكرهم في البحث أول موضع.

١٥) تطبيق قواعد البحث العلمي، واللغوي، والرسم الإملائي وعلامات الترقيم.

\*\*\*



# الفصل الأول

## مفهوم الحبط وما في معناه

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : تعريف الحبط لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني : الألفاظ المقاربة للحبط ومعانيها.



## المبحث الأول

## تعريف الحبط لغة واصطلاحاً

## الحبط في اللغة: ❁

بمعنى الإبطال، قال ابن فارس<sup>(١)</sup>: (حَبِطَ) الْحَاءُ وَالْبَاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى بُطْلَانٍ أَوْ أَلَمٍ. يُقَالُ: أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَ الْكَافِرِ، أَيَّ أَبْطَلَهُ.<sup>(٢)</sup>

## الحبط في الاصطلاح: ❁

بمعنى بطلان العمل الصالح، وعدم الاعتداد به.

قال ابن عاشور: فإحباط الأعمال: إبطال الاعتداد بالأعمال المقصود بها القربة والمظنون بها أنها أعمال صالحة لمانع منع من الاعتداد بها في الدين. وقد صار لفظ الحبط والحبوط من الألفاظ الشرعية الاصطلاحية بين علماء الفقه والكلام، فأطلق على عدم الاعتداد بالأعمال الصالحة بسبب الردة، أي: الرجوع إلى الكفر، أو بسبب زيادة السيئات على الحسنات بحيث يستحق صاحب الأعمال العذاب بسبب زيادة سيئاته على حسناته بحسب ما قدر الله لذلك وهو أعلم به.<sup>(٣)</sup>



(١) ابن فارس (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. الأعلام للزركلي (١/ ١٩٣).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٩)

(٣) التحرير والتنوير (٢١/ ٢٩٩)



## المبحث الثاني

## الألفاظ المقاربة للحبط ومعانيها

هناك ألفاظ مقاربة لمعنى الحبط جاءت في القرآن الكريم ويمكن ترتيبها بحسب قربها لمعنى الحبط كما يلي:

❁ أولاً: إبطال العمل.

❁ ﴿يَتَائِبَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤).

قال أبو السعود<sup>(١)</sup>: أي لا تحبطوا أجرها بواحدٍ منهما<sup>(٢)</sup>.

❁ ثانياً: إضلال الأعمال.

❁ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: ١).

قال ابن عاشور: الأعمال المحبطة بعض الأعمال المضللة، وإحباطها هو عدم تحقق ما رجوه منها فهو أخص من إضلال أعمالهم كما علمته عند قوله تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم<sup>(٣)</sup>.

❁ ثالثاً: إضاعة العمل.

❁ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ (البقرة: ١٤٣).

(١) أبو السُّعُود (٨٩٨ - ٩٨٢ هـ = ١٤٩٣ - ١٥٧٤ م) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية. الأعلام للزركلي (٧/ ٥٩).

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ٢٥٩)



(٣) التحرير والتنوير (٢٦/ ٨٧)



محيطات الأعمال في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

قال الطبري<sup>(١)</sup>: قيل: إن القوم وإن كانوا أشفقوا من ذلك، فإنهم أيضاً قد كانوا مشفقين من حُبُوط ثواب صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة، وظنوا أن عملهم ذلك قد بطلَ وذهب ضياعاً؟ فأنزل الله جل ثناؤه هذه الآية حينئذ.<sup>(٢)</sup>

رابعاً: وتر العمل.

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴾   (محمد: ٣٥).

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: أي: ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها، بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئاً.<sup>(٤)</sup>



- 
- (١) ابن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. الأعلام للزركلي (٦/ ٦٩).
- (٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٣/ ١٧٠)
- (٣) ابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. الأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠).
- (٤) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٧/ ٣٢٣)



# الفصل الثاني

## الشرك والردة والكفر بالله

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : الشرك.
- المبحث الثاني : الردة.
- المبحث الثالث : الكفر.





## المبحث الأول

## الشرك

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

الآيات الثانية: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

## الأحكام والفوائد

أولاً: الشرك المقصود في الآيات السابقة؛ هو الشرك الأكبر، وليس الأصغر، لأن الشرك الأكبر هو الذي يحبط جميع الأعمال، ويخلد صاحبه في نار جهنم، بخلاف الشرك الأصغر، فإنه لا يحبط جميع الأعمال، ولا يخلد صاحبه في نار جهنم، ويدل على هذا التفريق، أن الله عَزَّوَجَلَّ أتى في آية الأنعام بـ(ما) الموصولة أو المصدرية<sup>(١)</sup>، وكلهما تفيد العموم<sup>(٢)</sup>، فيكون الحبط

(١) قال الدعاس: واسم الموصول «ما» فاعل حبط والجملة لا محل لها جواب شرط غير جازم. ويمكن أن تكون «ما» مصدرية، والمصدر المؤول منها ومن الفعل بعدها في محل رفع فاعل التقدير: حبط عنهم عملهم. انتهى انظر إعراب القرآن للدعاس (١ / ٣١٩)

(٢) قال القرافي (٦٢٦ - ٦٨٢ هـ): الصيغة الرابعة والسبعون: ما الموصولة، نحو قولك: رأيت ما عندك. وهي موضوعة للعموم فيما لا يعقل، وفي أنواع من يعقل من المذكورين والمؤنثات، =

لجميع الأعمال، وفي آية الزمر قال **عَزَّوَجَلَّ ﴿عَمَلِك﴾** وهذا مفرد مضاف يفيد العموم.

قال ابن سعدي<sup>(١)</sup>: **﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾** هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل.<sup>(٢)</sup> انتهى

وفي آية التوبة جعل الله **عَزَّوَجَلَّ** عقوبة الشرك الخلود في نار جهنم، وبهذا يتبين أن الشرك في الآيات السابقة يقصد به الشرك الأكبر، والله أعلم.

ثانياً: الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وموجب لخلود صاحبه في نار جهنم، وقد سبق بيان هذا، والشرك الأكبر يسمى كفراً، وصاحبه كافر، ويدل على هذا قوله **عَزَّوَجَلَّ ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾**.

قال أبو السعود: أي بإظهار آثارِ الشركِ من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادةٌ صريحةٌ على أنفسهم بالكفر وإن أبوا أن يقولوا نحن كفاراً.<sup>(٣)</sup>

ثالثاً: الشرك لا يقبل معه عمل، لأنه ينافي الإخلاص الذي هو شرط لقبول

=وفي صفة من يعقل، قال الله تعالى: **﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾**، والمراد بـ (ما) صفة من يعقل، وقال الله تعالى: {ما منعك أن تسجد لما خلفت بيدي} والمراد: آدم عليه السلام. الصيغة الحادية والثمانون (للعوم): ما المصدرية، إذا وصلت بفعل مستقبل، نحو قولك: يعجبني ما تصنع، ويتقبل الله من المؤمنين ما يعملون، ونحو ذلك. انتهى انظر العقد المنظوم في الخصوص والعموم (١/ ٣٧٣) و (١/ ٣٨٥)

(١) ابن سعدي (١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التيمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٢٩)

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٥٠)



العمل، وقد دل على هذا قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾.

قال ابن سعدي: ﴿ مَا كَانَ ﴾ أي: ما ينبغي ولا يليق ﴿ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ بالعبادة، والصلاة، وغيرها من أنواع الطاعات، والحال أنهم شاهدون ومقرون على أنفسهم بالكفر بشهادة حالهم وفطرتهم، وعلم كثير منهم أنهم على الكفر والباطل، فإذا كانوا ﴿ شَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ وعدم الإيمان، الذي هو شرط لقبول الأعمال، فكيف يزعمون أنهم عمارة مساجد الله، والأصل منهم مفقود، والأعمال منهم باطلة؟! (١) انتهى.

وفي الحديث عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال الله تعالى: «أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ». (٢)

فينبغي للمسلم أن يخلص العمل لله **عَزَّجَلَّ**، وأن يعلم الشرك مانعاً من قبول العمل، وسبباً في حبوته.

رابعاً: الشرك محبط لجميع الأعمال، في جميع الشرائع السماوية، وقد حذر منه الله **عَزَّجَلَّ** أنبيائه ورسله، ليحذروا ويحذروا منه، قال **عَزَّجَلَّ** ﴿ وَكَفَدَ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾.

قال ابن سعدي: ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام لما عدد كثيراً من أنبيائه ورسله قال عنهم: ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٣١)

(٢) صحيح مسلم-ن(٤/٢٢٨٩)

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ (١) انتهى.

وهذا يدل على شناعة وفضاعة الشرك بالله، وأنه أعظم ذنب عصي الله به، وقد روى عن عبد الله قال سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ». (٢)

خامساً: الشرك مستحيل وقوعه على الأنبياء، وقد عصمهم الله من ذلك، وما جاء في قوله عَزَّجَلَّ ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨) وفي قوله عَزَّجَلَّ ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ لا يدل على حصول الشرك من الأنبياء، أو إمكانية وقوعه، فهم أكمل الناس توحيداً لله عَزَّجَلَّ، وأبعدهم عن الشرك، وقد وجه المفسرون معنى الآيتين، بعدة توجيهات نذكر أهمها :-

### التوجيه الأول: أن الخطاب من باب التعريض والتلويح.

قال القرطبي (٣): قول تعالى: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ خطاب للأمة باسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاستحالة الشرك عليه. (٤)

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٢٩)

(٢) البخاري صحيح البخاري ت (١٨ / ٥٦٨)

(٣) القُرْطُبِيُّ (١٠٠٠ - ٦٧١ هـ) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَحِ الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمدينة ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه "الجامع لأحكام القرآن - ط" الأعلام للزركلي (٥ / ٣٢٢).

(٤) تفسير القرطبي (٧ / ١٤)



قال ابن عاشور: فالمقصود بالخطاب تعريض بقوم الذي أوحى إليه لأن فرض إشراك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير متوقع. (١)

قال البقاعي (٢): ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وبابه، وحكم هذا القبيل واضح في حق من تعدى إليه الخطاب وقصد بالحقيقة به من أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حيث عدم عصمتهم وإمكان تطرق الشكوك والشبهة إليهم. (٣)  
قال الزركشي (٤): التعريض بأن يخاطب واحدا ومراده غيره كقوله تعالى: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (٥).

وقال السيوطي (٦): ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، خوطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا. (٧)

### التوجيه الثاني: أن الخطاب من باب تغليظ الأمر وتشديده.

قال ابن كثير: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨) تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم لملاسته، كما قال [تعالى] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ

(١) التحرير والتنوير (٥٨ / ٢٤)

(٢) البقاعي (٨٠٩ - ٨٨٥ هـ) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. الأعلام للزركلي (١ / ٥٦).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢ / ١٥٦)

(٤) الزركشي (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقهِ الشافعية والأصول. الأعلام للزركلي (٦ / ٦٠).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٢ / ٣٥٨)

(٦) الجلال السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيرى السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. الأعلام للزركلي (٣ / ٣٠١)

(٧) الإتيقان في علوم القرآن (٣ / ١٦٥)



وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴿١﴾.

وقال ابن عاشور: أعقبه بقوله ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ تفضيلاً لأمر الشرك وأنه لا يغتفر لأحد ولو بلغ من فضائل الأعمال مبلغاً عظيماً مثل هؤلاء المعدودين المنوه بهم. (٢)

❁ التوجيه الثالث: أن الخطاب من باب الفرض والتقدير.

قال أبو السعود: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ كلامٌ واردٌ على طريقة الفرض لتسهيل الرُّسل وإقنات الكفرة والإيدان بغاية شناعة الإشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكادُ يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه. (٣)

وقال ابن سعدي: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ على الفرض والتقدير ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا وحاشاهم لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى. (٤)

❁ التوجيه الرابع: أن الخطاب من باب الشرط والشرط لا يقتضي جواز وقوعه.

قال ابن كثير: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع:

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٣/ ٢٩٩)

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٥١)

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٢٦٢)

(٤) تفسير السعدي (ص: ٢٦٣)





محيطات الأعمال في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

كقوله [تعالى] ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ ﴿٨١﴾ [الزخرف: ٨١].

وكقوله ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنبياء: ١٧].

وكقوله ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ﴿٤﴾ (١) (الزمر: ٤).



(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٣/ ٢٩٩)

## المبحث الثاني

## الردة

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

## الأحكام والفوائد

أولاً: حبوط الأعمال بالردة، مقيدة بحصول الردة والموت عليها.

قال ابن عاشور: هذا وقد رتب حبط الأعمال على مجموع أمرين الارتداد والموت على الكفر، ولم يقيد الارتداد بالموت عليه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقوله: ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].<sup>(١)</sup>

والذي يظهر لي أن حبوط الأعمال بالكفر والشرك، كحبوط الأعمال بالردة، فيكون الحبوط مقيد بالكفر والموت عليه والشرك والموت عليه، لأن حقيقة الردة إما أن تكون بالكفر أو بالشرك الأكبر فالردة في الاصطلاح هي «كفر المسلم بقول صريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه»<sup>(٢)</sup> وهذا يحصل

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٣٣)

(٢) تحفة الفقهاء ٧ / ١٣٤، والقلوبي وعميرة ٤ / ١٧٤، وحاشية الباجوري ٢ / ٣٢٨، =

بالكفر والشرك الأكبر.

ثم إن هذا من حمل المطلق على المقيد، قال الزركشي قاعدة: في الإطلاق والتقييد؛ إن وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه، وإلا فلا، والمطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب.

والضابط أن الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقاً نظر؛ فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر... وكذلك: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ فأطلق الإحباط عليه وعلقه بنفس الردة، ولم يشترط الموافاة عليه، وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ وقيد الردة بالموت عليها والموافاة على الكفر، فوجب رد الآية المطلقة إليها وألا يقضى بإحباط الأعمال إلا بشرط الموافاة عليها.<sup>(١)</sup> انتهى

قال ابن سعدي: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ﴿ فَلَا تَهْتُمُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٥).

هذه الآية والتي في البقرة قوله: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ مقيدتان، لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه.<sup>(٢)</sup>

= ومنح الجليل ٤ / ٤٦١، وشرح الخرخشي المالكي ٨ / ٦٢، وهداية الراغب ٤٣٧، والمغني لابن قدامة الحنبلي ٨ / ٥٤٠، ومنتهى الإرادات لابن النجار ٢ / ٤٩٨.

(١) البرهان في علوم القرآن (٢ / ١٥)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٩٠)

وقال الشنقيطي: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي  
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ظاهر هذه الآية الكريمة أن المرتد يحبط جميع عمله  
بردته من غير شرط زائد، ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن ذلك فيما إذا مات  
على الكفر، وهو قوله: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ﴾<sup>(١)</sup>  
ومقتضى الأصول حمل هذا المطلق على هذا المقيد، فيقيد إحباط العمل  
بالموت على الكفر<sup>(١)</sup>.

ثانياً: إذا تاب المرتد رد الله عزَّجَلَّ عليه ما حبط من الأعمال.

قال ابن سعدي: ودلت الآية بمفهومها، أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام،  
أنه يرجع إليه عمله الذي قبل رده، وكذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود  
إليه أعماله المتقدمة.<sup>(٢)</sup>

وقال الشنقيطي<sup>(٣)</sup>: وأما المرتد ففيه خلاف بين العلماء معروف، قال بعض  
أهل العلم: لا يلزمه قضاء ما تركه في زمن رده، ولا في زمن إسلامه قبل رده؛  
لأن الردة تحبط جميع عمله وتجعله كالكافر الأصلي عياداً بالله تعالى، وإن كان  
قد حج حجة الإسلام أبطلتها رده على هذا القول، فعليه إعادتها إذا رجع إلى  
الإسلام، وتمسك من قال بهذا بظاهر قوله تعالى: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾  
الآية، وقوله: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين.

وقال بعض أهل العلم: يلزمه قضاء ما تركه من العبادات في زمن رده

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٣٢٩)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٧)

(٣) الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي:

مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها. الأعلام للزركلي (٦/ ٤٥).



وزمن إسلامه قبل رده، ولا تجب عليه إعادة حجة الإسلام؛ لأن الردة لم تبطلها، واحتج من قال بهذا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فِيمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الآية، فجعل الموت على الكفر شرطاً في حبوط العمل، وبالأول قال مالك ومن وافقه<sup>(١)</sup>، وبالثاني قال الشافعي<sup>(٢)</sup> ومن وافقه، وهما روايتان عن الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>، وقد ذكرنا في غير هذا الموضوع أن قول الشافعي ومن وافقه في هذه المسألة أجرى على الأصول، لوجوب حمل المطلق على المقيد، ولا سيما إذا اتحد الحكم والسبب كما هنا.<sup>(٤)</sup> انتهى

والذي يظهر لي أن المرتد إذا تاب وعاد إلى الإسلام فإن الله يتوب عليه، ويرد إليه عمله السابق، وهذا القول أقرب إلى الصواب من غيره، فهو الأليق برحمة الله وكرمه وفضله، وإحسانه، ثم إن المرتد داخل في قول الله عزَّجَلَّ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (مريم: ٦٠).

قال ابن كثير: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ وذلك؛ لأن التوبة تُجِبُّ ما قبلها، وفي الحديث الآخر: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»؛ ولهذا لا يُنْقَصُ هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئاً، ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فينقص لهم مما عملوه بعدها؛ لأن ذلك ذهب هدرًا وترك نسياناً، وذهب مَجَّاناً، من كرم الكريم، وحلم الحليم.

(١) روح المعاني ٢ / ١٥٧، والكشاف ١ / ٢٧١، وعمدة القاري ٢٤ / ٧٩، وإرشاد الساري ١٠ /

٧٦، وتفسير القرطبي ٣ / ٤٨ .

(٢) القليوبي ٤ / ١٧٤ .

(٣) الإنصاف ١٠ / ٣٣٨ .

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣ / ٤٦٢)





وهذا الاستثناء هاهنا كقوله في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ (الفرقان: ٦٨) (١)

ثالثاً: من اكره على الكفر، لا يحكم عليه بالردة، ولا تحبط أعماله، لأن الله عزَّوجلَّ قال: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ ولم يقل (ومن رُد عن دينه)، فدل على أن المُكره لا يحكم بردته ولا بحبوط عمله، وقد قال الله عزَّوجلَّ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦).

قال ابن كثير: وأما قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله. (٢)

رابعاً: خطورة كيد الكفار وأنه من أسباب الردة عن الإسلام، فقد بينت الآية أن الكفار لا يزالون يقاتلون المؤمنين ليردوهم عن دينهم، وهي كقوله عزَّوجلَّ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ (البقرة: ١٠٩) وكقوله ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠) وكقوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٥ / ٢٤٦)

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٤ / ٦٠٥)





**مَلَّتِنَا** ﴿إبراهيم: ١٣﴾ فيجب على المسلم أن يحذر من كيد الكفار، وأن يتمسك بدينه، ولا يتنازل عنه، لأي سبب من الأسباب، وأن يحذر مكرهم وكيدهم، وأن يستعين بربه **عَزَّوَجَلَّ**، قال ابن عاشور: وجيء بصيغة يردد وهي صيغة مطاوعة إشارة إلى أن رجوعهم عن الإسلام إن قدر حصوله لا يكون إلا عن محاولة من المشركين فإن من ذاق حلاوة الإيمان لا يسهل عليه رجوعه عنه ومن عرف الحق لا يرجع عنه إلا بعناء.<sup>(١)</sup>

وقال ابن سعدي: أخبر تعالى أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم، وإنما غرضهم أن يرجعوا عن دينهم، ويكونوا كفارا بعد إيمانهم حتى يكونوا من أصحاب السعير، فهم باذلون قدرتهم في ذلك، ساعون بما أمكنهم، **﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يَتَّعَ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** (التوبة: ٣٢) وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم، حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصا، أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، الذين بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس، لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخيلهم عليهم، كل ما يمكنهم من الشبه، التي تشككهم في دينهم، ولكن المرجو من الله تعالى، الذي منّ على المؤمنين بالإسلام، واختار لهم دينه القيم، وأكمل لهم دينه، أن يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام، وأن يخذل كل من أراد أن يطفىء نوره، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر دينه، ويعلي كلمته.<sup>(٢)</sup>

قال الشنقيطي: قوله تعالى: **﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾**

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٣٢)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٧)



﴿إِنْ أَسْتَظْعَمُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)، لم يبين هنا هل استطاعوا ذلك أو لا؟ ولكنه بين في موضع آخر أنهم لم يستطيعوا، وأنهم حصل لهم اليأس من رد المؤمنين عن دينهم، وهو قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ الآية (المائدة: ٣)، وبين في مواضع آخر أنه مظهر دين الإسلام على كل دين كقوله في «براءة» و«الصف»، و«الفتح» هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. (١)

خامساً: في الآية ترغيب للمرتد أن يتوب، وأن يرجع إلى الإسلام، قال أبو السعود: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ بأن لم يرجع إلى الإسلام وفيه ترغيب في الرجوع إلى الإسلام بعد الارتداد. (٢) انتهى.



(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١ / ٩١)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١ / ٢١٧)



## المبحث الثالث

## الكفر

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ  
النَّبِيَّانَ بَغْيًا حَقًّا وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ  
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢].

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي  
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ٥].

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ  
أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأعراف: ١٤٧].

الآية الرابعة: قال قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ،  
فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥].

## الأحكام والفوائد

أولاً: الكفر المقصود به في الآيات السابقة، هو الكفر الأكبر، وليس  
الأصغر، وقد عليه ظاهر الآيات.

ففي الآية الأولى كفروا بآيات الله وهذا يشمل آيات الله الكونية والشرعية.

وفي الآية الثانية، كفروا بالإيمان وهذا يشمل أركان الإيمان الستة.

وفي الآية الثالثة والرابعة، كفروا بآيات الله واليوم الآخر، وهذا يشمل

الكفر بآيات الله الكونية والشرعية، والكفر بيوم القيام يشمل الكفر بما فيه من الحساب والعقاب والميزان والجنة والنار وغيرها، والكفر بما سبق ذكره، يُعد من أنواع الكفر الأكبر.

ثانياً: الكفر الأكبر محبط لجميع الأعمال، وقد دل على هذا ظاهر الآيات، فقد حكم بحبوط الأعمال في الدنيا والآخرة فقال **عَزَّجَلَّ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٣﴾**.

قال ابن عاشور: تحبط أعمالهم فلا ينتفعون بثوابها في الآخرة، ولا بأثارها الطيبة في الدنيا، ومعنى وما لهم من ناصرين ما لهم من ينقذهم من العذاب الذي أنذروا به، وجيء بمن الدالة على تنصيب العموم لئلا يترك لهم مدخل إلى التأويل.<sup>(١)</sup> انتهى

ورتب على حبوط العمل الخسارة الأبدية في الآخرة كما في قوله **عَزَّجَلَّ ﴿٥﴾ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَسِرِينَ ﴿٥﴾**.

قال ابن سعدي: أي: الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهلهم يوم القيامة، وحصلوا على الشقاوة الأبدية.<sup>(٢)</sup> انتهى

وبسبب حبوط جميع الأعمال، لم يكن للكافر وزن يوم القيامة، كما في قوله **عَزَّجَلَّ ﴿١٠٥﴾ فَحَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾**.

قال ابن عطية<sup>(٣)</sup>: يحتمل أن يريد أنه لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة،

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٠٨)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٢١)

(٣) ابن عطية (٤٨١ - ٥٤٢ هـ) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٢).



ومن لا حسنة له فهو في النار لا محالة، ويحتمل أن يريد المجاز والاستعارة، كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ، فهذا معنى الآية عندي.<sup>(١)</sup>

وقال أبو السعود: ﴿فَحَبِطَتْ﴾ لذلك ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ المعهودةً حبوطاً كلياً ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ﴾ أي لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال وقرئ بالياء ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَنَّا﴾ أي فنزديهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عُطف عليه بطريق التفریع.<sup>(٢)</sup>

ثالثاً: يحصل حبوط العمل، إذا كفر العبد بكل أو ببعض ما وجب الإيمان به، فلو كفر العبد بكل ما في اليوم الآخر، حبط عمله، ولو آمن بكل ما في اليوم الآخر من وعد ووعد، إلا الجنة والنار، حبط عمله أيضاً.

قال ابن سعدي: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ أي: ومن كفر بالله تعالى، وما يجب الإيمان به من كتبه ورسله أو شيء من الشرائع، فقد حبط عمله.<sup>(٣)</sup>

وقال أبو السعود: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ﴾ أي ومن ينكّر شرائع الإسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الأحكام المتعلقة بالحلّ والحرمه ويمتنع عن قبولها ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ الصالح الذي عمل قبل ذلك.<sup>(٤)</sup>

وقال ابن عاشور: ولقاء إلى الآخرة على معنى (في) لأنها إضافة إلى ظرف

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٤٥)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٤٩)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٢٢١)

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٩)







المكان، مثل عقبى الدار، أي: لقاء الله في الآخرة، أي لقاء وعده ووعيده.<sup>(١)</sup>  
 رابعاً: قرن الله عزَّجَلَّ بين قتل الأنبياء، وقتل الذين يأمرون بالمعروف  
 وينهون عن المنكر، وفي هذا بيان لشناعة هذا الذنب العظيم.

قال السعدي: هؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية، أشد الناس جرماً  
 وأي: جرم أعظم من الكفر بآيات الله التي تدل دلالة قاطعة على الحق الذي من  
 كفر بها فهو في غاية الكفر والعناد ويقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب الحقوق  
 على العباد بعد حق الله، الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم، وتعزيرهم،  
 وتوقيرهم، ونصرهم وهؤلاء قابلوهم بضد ذلك، ويقتلون أيضاً الذين يأمرون  
 الناس بالقسط الذي هو العدل، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي  
 حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم شر مقابلة، فاستحقوا بهذه  
 الجنایات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى  
 غاية لا يمكن وصفها، ولا يقدر قدرها المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح،  
 وبطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم، وما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله ولا  
 يدفع عنهم من نعمته مثقال ذرة، بل قد أيسوا من كل خير، وحصل لهم كل  
 شر وضير، وهذه الحالة صفة اليهود ونحوهم، قبحهم الله ما أجرأهم على الله  
 وعلى أنبيائه وعباده الصالحين.<sup>(٢)</sup>

خامساً: يحتمل أن حبوط الأعمال يكون قبل وزنها وعرضها على  
 الميزان، ويدل على هذا قوله عزَّجَلَّ ﴿فَحِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾  
 ١٠٥؛ فإذا وضع الكافر على الميزان، لم يزن عند الله جناح بعوضه، وإذا

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١٠٨)

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٢٦)





وضعت صحائفه في الميزان خفت.

وقد وصف الله عزَّوجلَّ، أعمال الكفار بما يدل على هذا المعنى في غير موضع:

\* فقال عزَّوجلَّ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَتْهُ حِسَابُهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور: ٣٩).

\* وقال عزَّوجلَّ ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٣).

\* وقال عزَّوجلَّ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَدِّلُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (هود: ١٦).

\* وقال عزَّوجلَّ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (إبراهيم: ١٨).

\* وقال عزَّوجلَّ ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْتًا قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۗ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٧).

قال البخاري<sup>(١)</sup>: باب ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ۗ فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ (الكهف: ١٠٥) الآية

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال إنه ليأتي الرجل

(١) البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صاحب (الجامع الصحيح - ط) المعروف بصحيح البخاري الأعلام للزركلي (٦/ ٣٤).

العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرءوا ﴿فَلَا تُقِيمُ﴾<sup>(١)</sup> هُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّا ﴿١٠٥﴾ وعن يحيى بن بكير عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد مثله<sup>(١)</sup>

قال ابن سعدي: ﴿فَحَطَّتْ﴾ بسبب ذلك ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ فلا يُقِيمُ هُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّا ﴿١٠٥﴾ لأن الوزن فائدته، مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنة لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان، كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ (طه: ١١٢)، لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها، ويخزون بها على رءوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها.<sup>(٢)</sup>

وقال أبو السعود: ﴿فَحَطَّتْ﴾ لذلك ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ المعهودة حبوطاً كلياً ﴿فَلَا تُقِيمُ هُم﴾ أي لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال وقرئ بالياء ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّا﴾ أي فنزديهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عطف عليه بطريق التفریع وأما ما هو من أجزية الكفر فيسجى بعد ذلك أو لا نضع لأجل وزن أعمالهم ميزاناً لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز به مقادير الطاعات والمعاصي ليرتب عليه التكفير أو عدمه لأن ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فإحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعاً.<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح البخاري ت (١١ / ٤٦٦)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٨٧)

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥ / ٢٤٩)



وقال الشنقيطي: عمل الكافر الذي يتقرب به إلى الله يجازى به في الدنيا، ولا حظ له منه في الآخرة. كقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ (هود: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ (الشورى: ٢٠).

وثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحو ما جاءت به هذه الآيات: من انتفاع الكافر بعمله في الدنيا من حديث أنس، قال مسلم بن الحجاج<sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب - واللفظ لزهير - قال: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام بن يحيى، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يَعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيَجْزَى بِهَا الْآخِرَةَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يَجْزَى بِهَا»<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) الإمام مُسْلِمٌ (٢٠٤ - ٢٦١ هـ) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين: حافظ، من أئمة المحدثين. ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه (صحيح مسلم - ط) الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢١).

(٢) صحيح مسلم (٢٨٠٨)

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٨٢)

# الفصل الثالث

## النفاق وكراهية شيء من القرآن

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: النفاق.
- المبحث الثاني: كراهية شيء من القرآن



## المبحث الأول

## النفاق

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبَهُمْ عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ [المائدة: ٥٢، ٥٣].

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ [الأحزاب: ١٩].

## الأحكام والفوائد

أولاً: النفاق المقصود به في الآيات هو النفاق الأكبر، وليس النفاق الأصغر أو العملي، ويدل على ذلك تلك الأوصاف التي ذكرها الله عزَّجَلَّ في الآيتين، والتي هي من صفات المنافقين نفاقاً أكبر.

ومنها، أن في قلوبهم مرض الشك والريب، قال ابن كثير: قوله: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي: شك، وريب، ونفاق.<sup>(١)</sup>

وقال ابن عاشور: والمرض هنا أطلق على النفاق كما تقدم في قوله تعالى:

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٣/ ١٣٢)



في قلوبهم مرض ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ في سورة البقرة، أطلق عليه مرض لأنه كفر مفسد للإيمان. (١) انتهى

ومنها، مولاة الكفار على المسلمين، كما في قوله عز وجل ﴿ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ (المائدة: ٥٢).

قال ابن كثير: أي: يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر. (٢) انتهى ومنها، حبوط أعمالهم بالكلية، وهذا يكون في النفاق الأكبر. ومنها، قسمهم الكاذب أنهم من أهل الإيمان ومعهم.

قال ابن سعدي: في قوله عز وجل ﴿ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ اقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ أي: حلفوا وأكدوا حلفهم، وغلظوه بأنواع التأكيدات: إنهم لمعكم في الإيمان، وما يلزمه من النصر والمحبة والموالاتة، ظهر ما أضمره، وتبين ما أسروه، وصار كيدهم الذي كادوه، وظنهم الذي ظنوه بالإسلام وأهله - باطلا فبطل كيدهم. (٣) انتهى

ومنها، أن الله عز وجل بعد أن ذكر صفاتهم نفى عنهم الإيمان بقوله: ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ (الأحزاب: ١٩).

قال القرطبي: ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ يعني بقلوبهم وإن كان ظاهرهم الإيمان، والمنافق كافر على الحقيقة لوصف الله عز وجل لهم بالكفر. (٤)

(١) التحرير والتنوير (٦ / ٢٣١)

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٣ / ١٣٢)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٢٣٥)

(٤) تفسير القرطبي (١٤ / ١٥٤)





وقال ابن عاشور: وقد أجري عليهم حكم انتفاء الإيمان عنهم بقوله ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُوْمِنُوا﴾ كشفًا لدخائلهم لأنهم كانوا يوهمون المسلمين أنهم منهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَنَّا﴾ في سورة البقرة. (١)

ثانيًا: النفاق الأكبر محبط لجميع الأعمال، لأن النفاق الأكبر مضاد للإيمان، بالله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بين الله عَزَّجَلَّ ذلك بقوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُوْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ﴾.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات لم يصدقوا الله ورسوله. ولكنهم أهل كفر ونفاق، ﴿فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها. (٢) انتهى

وقد تقدم معنا أن حبوط الأعمال مقيد بالموت على الردة أو الكفر، وكذلك النفاق؛ فإن حبوط الأعمال مقيد بموت المنافق على نفاقه.

ثالثًا: في قوله عَزَّجَلَّ: ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾ (٥٣) يُحتمل أن تكون من كلام الله عَزَّجَلَّ، ويُحتمل أن تكون من كلام الذين آمنوا.

قال ابن عاشور: وجملة ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ استئناف، سواء كانت من كلام الذين آمنوا فتكون من المحكي بالقول، أم كانت من كلام الله تعالى فلا تكونه. (٣)

وقال أبو السعود: قوله تعالى ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾ (٥٣) إما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والإقسام على المعية في المنشط والمكروه إثر الإشارة إلى بطلانه بالاستفهام

(١) التحرير والتنوير (٢١ / ٢٩٨)

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٠ / ٢٣٣)

(٣) التحرير والتنوير (٦ / ٢٣٤)

الإنكاري وإما خبرٌ ثانٍ للمبتدأ عند مَنْ يجوزُ كونه جملةً كما في قوله تعالى ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه: ٢٠) أو هو الخبرُ والموصول مع ما في حيز صلتِهِ صفةٌ لاسم الإشارة فلاستفهامٌ حينئذٍ للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبَّطَ أعمالهم فما أخسرهم والمعنى بطلت أعمالهم التي عملوها في شأن مواليتكم وسعو في ذلك سعيًا بليغًا حيث لم تكن لكم دولةٌ فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبًا لبعض تعجبًا من سوء حال المنافقين واغترابًا بما من الله تعالى على أنفسهم من التوفيق للإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت أعمالهم التي كانوا يكلفونها في رأي أعين الناس وأنت خيرٌ بأنَّ ذلك الكلام من المؤمنين إنما يليق بما لو أظهر المنافقون حينئذٍ خلاف ما كانوا يدعونونه ويُقسِمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رءوس الأشهاد وبطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأس أعين المؤمنين ولا ريب في أنَّهم يومئذٍ أشدُّ ادعاءً وأكثر إقسامًا منهم قبل ذلك فضلًا عن أن يظهروا خلاف ذلك وإنما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامةً ظاهرةً الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فإنهم يدعون أن ليست ندامتهم إلا على ما أظهره من موالاة الكفرة خشية إصابة الدائرة.<sup>(١)</sup>

والذي يظهر لي أن الجملة من كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، لأنها جملةٌ مستأنفةٌ، فليست تابعة لكلام الذين آمنوا، وقد جعل ابن جرير الطبري هذه الجملة من

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٥٠)



كلام الله، فقال: يقول الله تعالى ذكره، مخبراً عن حالهم عنده بنفاقهم وخبث أعمالهم ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، يقول: ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلا لا ثواب لها ولا أجر. (١) انتهى

وإن كانت الجملة من كلام الذين آمنوا، فلا إشكال، لأنها قيلت فيمن يستحق ذلك، والله عزَّ وجلَّ لم ينكر عليهم قولهم، بل أقرهم عليه، وما قالوا هذه الجملة، إلا لعلمهم أن تلك الأقوال والأفعال من المنافقين تحبط الأعمال، وتورث لهم الخسران.

رابعاً: يجب على المسلم أن يحذر على نفسه من النفاق، لأن محبط للعمل، وكيف لا يخاف على نفسه النفاق؟! وقد خافه الصحابة على أنفسهم، قال البخاري: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر وقال إبراهيم التيمي ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل، ويذكر عن الحسن ما خافه إلا مؤمن ولا آمنه إلا منافق وما يحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة لقول الله تعالى ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) (آل عمران: ١٣٥)

خامساً: صفات المنافقين كثيرة في القرآن والسنة، ومما جاء في هاتين الآيتين، أن في قلوبهم مرض الشك والريب، وأن يسارعون في مولاة الكفار على المسلمين، وأنهم لا يتوكلون على الله حق التوكل فقالوا نخشى أن تصيبنا

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٠ / ٤٠٩)

(٢) صحيح البخاري ت (١ / ٥١)

دائرة، وأنهم يحلفون بالله كذباً أنهم مع المسلمين على الكافرين، وهم عكس هذا، وأنهم أشحة على المسلمين يعني بخلاء بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله، وبخلاء بأنفسهم فلا يقاتلون في سبيل الله، وأنهم جنباء في حال الحرب وعند ملاقات العدو، وإذا جاء الأمن كانوا فصحاء بمدح أنفسهم والثناء عليها، وهم عكس هذا.

وصفات المنافقين هذه وغيرها مما جاء في الكتاب والسنة، هي صفات المنافقين في كل زمان ومكان، فلنحذرهما على أنفسنا، ولنعرف بها عدونا، والله المستعان.



## المبحث الثاني

## كراهية شيء من القرآن

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ۗ﴾ <sup>(٨)</sup> ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۗ ﴿٩﴾ (محمد: ٩).

## الأحكام والفوائد

أولاً: المقصود بقوله عَزَّجَلَّ ﴿كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

قال الطبري: يعني القرآن يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهم من الإتعاس وإضلال الأعمال من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه إلى نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسخطوه، فكذبوا به، وقالوا: هو سحر مبین.<sup>(١)</sup>

وقال ابن سعدي: ﴿كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن الذي أنزله الله، صلاحاً للعباد، وفلاحاً لهم، فلم يقبلوه، بل أبغضوه وكرهوه.<sup>(٢)</sup>

ثانياً: سياق الآيات يصف حال الكفار، بأنهم يكرهون ما أنزل الله عَزَّجَلَّ على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو القرآن، وأن الله أحبط أعمالهم، بسبب ذلك الكره، وهذا الخطاب وإن كان في الكفار، فإنه موجه كذلك للمسلمين، فمن كره ما أنزل الله وأبغضه فإن الله سيحبط عمله، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٢ / ١٦٢)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٨٥)



ثالثاً: الذي يحبط الأعمال، هو كرهه الشرع، وليس كرهه الطبع، فلا تعارض بين قوله عَزَّجَلَّ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (١) وبين قوله عَزَّجَلَّ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢١٦).

(البقرة: ٢١٦).

قال القرطبي: قوله تعالى: وهو كرهه لكم ابتداء وخبر، وهو كرهه في الطباع. قال ابن عرفة: الكره المشقة، والكره بالفتح ما أكرهت عليه، هذا هو الاختيار، ويجوز الضم في معنى الفتح فيكونان لغتين، يقال: كرهت الشيء كرها وكرها وكرهاه وكراهية، وأكرهته عليه إكراها. وإنما كان الجهاد كرها لأن فيه إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل، والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس، فكانت كراهيتهم لذلك، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور: ومعلوم أن كراهية الطبع الفعل لا تنافي تلقي التكليف به برضا لأن أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني<sup>(٣)</sup>: يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد، إني أريده وأكرهه، بمعنى أنني أريده من حيث الطبع، وأكرهه من حيث العقل أو الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع، وأكرهه من حيث الطبع، وقوله:

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٣٨)

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٣٢١)

(٣) الرَّاِغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ (٥٠٠ - ٥٠٢ هـ) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥).





﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: وجملة: ﴿ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ ﴾ في محل نصب على الحال؛ والضمير {هو} يعود على القتال؛ وليس يعود على الكتابة؛ فإن المسلمين لا يكرهون ما فرضه الله عليهم؛ وإنما يكرهون القتال بمقتضى الطبيعة البشرية؛ وفرق بين أن يقال: إننا نكره ما فرض الله من القتال؛ وبين أن يقال: إننا نكره القتال؛ فكراهة القتال أمر طبيعي؛ فإن الإنسان يكره أن يقاتل أحداً من الناس فيقتله؛ فيصبح مقتولاً؛ لكن إذا كان هذا القتال مفروضاً علينا صار محبوباً إلينا من وجه، ومكروهاً لنا من وجهٍ آخر؛ فباعتبار أن الله فرضه علينا يكون محبوباً إلينا؛ ولهذا كان الصحابة رَضُوا لِلَّهِ عَنْهُمْ يَأْتُونَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصرون أن يقاتلوا؛ وباعتبار أن النفس تنفر منه يكون مكروهاً إلينا.<sup>(٣)</sup>

رابعاً: كره الشرع محبط للعمل، وكفر بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن عمل به.

قال ابن عثيمين: من أبغض شريعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو أبغض شعيرة من شعائر الإسلام، أو أبغض أي طاعة مما يتعبد به الناس في دين الإسلام فإنه كافر، خارج عن الدين لقول الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ [محمد: ٩]. ولا حبوط للعمل إلا بالكفر، فمن

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٠٧)

(٢) ابن عثيمين (١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ). محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهبي التميمي، عالم وفقه سعودي، وأستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء.

(٣) تفسير القرآن للعثيمين (٥ / ٣٧)

كره فرض الصلوات فهو كافر ولو صلى، ومن كره فرض الزكاة فهو كافر ولو صلى، لكن من استثقلها مع عدم الكراهة فهذا فيه خصلة من خصال النفاق لكنه لا يكفر. وفرق بين من استثقل الشيء ومن كره الشيء. (١)

خامساً: اختلف المفسرون في قوله **عَزَّوَجَلَّ ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾** على عدة أقوال:

قال الطبري: قوله **﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾** يقول: فأبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وذلك عبادتهم الآلهة، لم ينفعهم الله بها في الدنيا ولا في الآخرة، بل أوبقهم بها، فأصلاهم سعيراً. (٢)

وقال ابن عطية: وقوله: **﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾** يقتضي أن أعمالهم في كفرهم التي هي بر مقيدة محفوظة، ولا خلاف أن الكافر له حفظة يكتبون سيئاته. واختلف الناس في حسناتهم، فقالت فرقة: هي ملغاة يثابون عليها بنعم الدنيا فقط. وقالت فرقة: هي محصاة من أجل ثواب الدنيا، ومن أجل أنه قد يسلم فينضاف ذلك إلى حسناته في الإسلام، وهذا أحد التأويلين في قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لحكيم بن حزام: «أسلمت على ما سلف لك من خير» (٣). فقوم قالوا تأويله: أسلمت على أن يعد لك ما سلف من خير، وهذا هو التأويل الذي أشرنا إليه. وقالت فرقة معناه: أسلمت على إسقاط ما سلف لك من خير، إذ قد ثوبت عليه بنعم دنياك. (٤)

(١) تفسير القرآن للعثيمين (٤٦ / ٣)

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٢ / ١٦٢)

(٣) صحيح البخاري ت (٣ / ٤٦١)

(٤) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥ / ١١٢)



وقال القرطبي: ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي ما لهم من صور الخيرات، كعمارة المسجد وقرى الضيف وأصناف القرب، ولا يقبل الله العمل إلا من مؤمن. وقيل: أحبط أعمالهم أي عبادة الصنم.<sup>(١)</sup>

وقال أبو السعود: ﴿ فَأَحْبَطَ ﴾ لأجل ذلك ﴿ أَعْمَالَهُمْ ﴾ التي لو كانوا عملوها مع الإيمان لأُثِّبُوا عَلَيْهَا.<sup>(٢)</sup>

وقال الشوكاني<sup>(٣)</sup>: المراد بالأعمال ما كانوا عملوا من أعمال الخير في الصورة وإن كانت باطلة من الأصل لأن عمل الكافر لا يقبل قبل إسلامه.<sup>(٤)</sup> انتهى.

والذي يظهر لي هو ما ذكره الشوكاني؛ لأن الإسلام شرط لقبول العمل الصالح والإثابة عليه في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾ (التوبة: ٥٤)، فأعمال الخير التي يقوم بها الكفار يجازون بها في الدنيا، كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أَطْعَمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا . وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ وَيَعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا، عَلَى طَاعَتِهِ».<sup>(٥)</sup>

(١) تفسير القرطبي (١٦ / ٢٣٣)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨ / ٩٤)

(٣) الشُّوكَانِي (١٢٢٩ - ١٢٨١ هـ) أحمد بن محمد بن علي الشوكاني: قاض، من فضلاء اليمانيين، من أهل صنعاء وهو ابن العلامة (الشوكاني) الكبير. الأعلام للزركلي (١ / ٢٤٦).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٣٩)

(٥) صحيح مسلم ٢٨٠٨



وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ابْنِ جَدْعَانَ، فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنَ جُدْعَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ يَقْرِي الضَّيْفَ وَيُحْسِنُ الْجَوَارَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا قَطُّ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ». (١)

\*\*\*



# الفصل الرابع

## اتباع ما أسخط الله ، ومتابعة أهل الضلال

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول : اتباع ما أسخط الله .
- المبحث الثاني : متابعة أهل الضلال .



## المبحث الأول

## اتباع ما أسخط الله

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ،

فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ (٢٨) (محمد: ٢٨).

## الأحكام والفوائد:

أولاً: المقصود بما أسخط الله هو الكفر والفسوق والعصيان.

قال ابن عطية: ﴿مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ هو الكفر. (١)

وقال أبو السعود: ﴿اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ من الكفر والمعاصي. (٢)

وقال ابن سعدي: ﴿اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ من كل كفر وفسوق وعصيان. (٣)

وقال ابن عاشور: واتباعهم ما أسخط الله: هو اتباعهم الشرك. والسخط مستعار لعدم الرضى بالفعل. (٤)

ثانياً: المقصود برضوان الله هو الإسلام والإيمان والطاعة.

قال القرطبي: ﴿وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾: يعني الإيمان. (٥)

قال أبو السعود: ﴿وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي ما يرضاه من الإيمان والطاعة

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥ / ١٢٠)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨ / ١٠٠)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٨٩)

(٤) التحرير والتنوير (٢٦ / ١١٩)

(٥) تفسير القرطبي (١٦ / ٢٥١)



حيث كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة.<sup>(١)</sup>

وقال ابن عاشور: وكرهاتهم رضوان الله: كراحتهم أسباب رضوانه وهو الإسلام.<sup>(٢)</sup>

ثالثاً: اتباع ما يسخط الله **عَزَّجَلَّ** وكرهه رضوانه محبط للعمل، وقدل على هذا ظاهر الآية.

قال أبو السعود: بسبب أنهم **﴿اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾** من الكفر والمعاصي **﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾** أي ما يرضاه من الإيمان والطاعة حيث كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود **﴿فَأَحْبَطَ﴾** لأجل ذلك **﴿أَعْمَلَهُمْ﴾** التي عملوها حال إيمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التي لو عملوها حال الإيمان لا تنفعوا بها.<sup>(٣)</sup>

وقال ابن سعدي: بسبب **﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾** من كل كفر وفسوق وعصيان. **﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾** فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه، ولا يدينهم منه، **﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾** أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، ويضاعف أجره وثوابه.<sup>(٤)</sup>

قال ابن عاشور: فرع على اتباعهم ما أسخط الله وكرهتهم رضوانه قوله: فأحبط أعمالهم فكان اتباعهم ما أسخط الله وكرهتهم رضوانه سببا في

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨ / ١٠٠)

(٢) التحرير والتنوير (٢٦ / ١١٩)

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨ / ١٠٠)

(٤) تفسير السعدي (ص: ٧٨٩)



الأميرين: ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الوفاة، وإحباط أعمالهم.<sup>(١)</sup>  
 رابعاً: قال ابن عاشور: في ذكر اتباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه محسن  
 الطباق مرتين للمضادة بين السخط والرضوان، والاتباع والكراهية. والجمع  
 بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء  
 بأحدهما عن الآخر للإيماء إلى أن ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب  
 لإقبالهم على ما أسخط الله، وأن ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه  
 لأن الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار.<sup>(٢)</sup>

خامساً: مفهوم المخالفة لهذه الآية هو أنه يجب على العبد، أن يترك  
 ما يُسخط الله **عَزَّجَلَّ** وهو الكفر والفسوق والعصيان، وأن يُحب رضوان الله  
**عَزَّجَلَّ** وهو الإسلام والإيمان والطاعة، وأن يسأل الله أن يحب له ذلك كما في  
 قوله **عَزَّجَلَّ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ  
 وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾** (الحجرات: ٧).

\*\*\*

(١) التحرير والتنوير (٢٦ / ١١٩)

(٢) التحرير والتنوير (٢٦ / ١١٩)



## المبحث الثاني

## متابعة أهل الضلال

قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ [التوبة: ٦٩].

## الأحكام والفوائد

أولاً: وجه متابعة أهل الضلال في الآية؛ هي من جهة المشابهة لأفعالهم وأقوالهم.

قال ابن كثير: في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية.

قال ابن عباس: ما أشبه الليلة بالبارحة، ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ هؤلاء بنو إسرائيل، شبهنا بهم.<sup>(١)</sup>

وقال ابن عاشور: فكاف التشبيه في موضع الخبر عن مبتدأ محذوف دل عليه ضمير الخطاب، تقديره: أنتم كالذين من قبلكم، أو الكاف في موضع نصب بفعل مقدر، أي: فعلتم كفعل الذين من قبلكم.<sup>(٢)</sup>

ثانياً: أفعال وأقوال أهل الضلال في الآية، التي من اتبعها حبط عمله، وهي قوله عز وجل ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٤ / ١٧٣)

(٢) التحرير والتنوير (١٠ / ٢٥٧)

مِن قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴿١﴾.

قال ابن كثير: ﴿فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ﴾.

قال الحسن البصري: بدینهم، ﴿كَمَا أَسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي: في الكذب والباطل. (١)

وقال أبو السعود: ﴿فَأَسْتَمْتَعُوا﴾ تمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في صيغة التفعّل من الاستزادة والاستدامة في التمتع ﴿بِمَخْلَقِهِمْ﴾ بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدّر لصاحبه ﴿فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَعَ﴾ الكاف في محل النصب على أنّه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ أي استمتعاً كاستمتاع ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ﴾ ذمّ الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهاؤهم بها عن النظر في العواقب الحقّة واللذائذ الحقيقية تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم إياهم واقتفائهم أثرهم، ﴿وَخَضْتُمْ﴾ أي دخلتم في الباطل ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي كالذين بإسقاط النون أو كالفوج الذي أو كالخوض الذي خاضوه (٢).

وقال ابن سعدي: استمتعتم بخلاصكم، أي: بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعتمت به على معاصي الله، ولم تتعد هممتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم ﴿وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾، أي: وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتع بالخلاق وخوض بالباطل. (٣)

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٤ / ١٧٣)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٨١)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٤٣)



وقال ابن عاشور: وقوله: ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ تشبيه لخوض المنافقين بخوض أولئك وهو الخوض الذي حكي عنهم في قوله: ﴿لَيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (التوبة: ٦٥) وبساطة هذا التشبيه لم يؤت فيه بمثل الأسلوب الذي أتى به في التشبيه السابق له. أي: وخضتم في الكفر والاستهزاء بآيات الله ورسوله كالخوض الذي خاضوه في ذلك، فأنتم وهم سواء، فيوشك أن يحق بكم ما حاق بهم، وكلامنا في هذين التشبيهين أدق ما كتب فيهما. (١) انتهى

وفيما سبق بيان لخطورة مشابهة أهل الضلال في هذه الأفعال والأقوال، واتباعهم فيها.

ثالثاً: اتباع أهل الضلال محبط للعمل، لأن أعمالهم وأقوالهم أحبطت أعمالهم، فكذلك من اتبعهم وشابههم في ذلك فستحبط أعماله مثلما حبطت أعمالهم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فيحتمل أن يراد بأولئك القوم الذين وصفهم بالشدة وكثرة الأموال والاستمتاع بالخلاق، والمعنى وأنتم أيضاً كذلك يعتريكم بإعراضكم عن الحق. (٢)

وقال الشنقيطي: والمقصود أنه سبحانه ألحقهم بهم في الوعيد، وسوى بينهم فيه كما تساوا في الأعمال، وكونهم كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فرق غير مؤثر، فعلق الحكم بالوصف الجامع المؤثر، وألغى الوصف الفارق، ثم نبه على أن مشاركتهم في الأعمال اقتضت مشاركتهم في الجزاء، فقال: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ فهذه هي العلة المؤثرة والوصف الجامع،

(١) التحرير والتنوير (١٠ / ٢٥٩)

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ٥٧)





وقوله: ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ هو الحكم، والذين من قبلهم الأصل، والمخاطبون الفرع.<sup>(١)</sup>

رابعاً: في الآية تحذير من الاستمتاع بالخلاق والخوض بالباطل، قال الشنقيطي: والمقصود أنه سبحانه جمع بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد بالباطل والتكلم به وهو الخوض، أو يقع بالعمل بخلاف الحق، والصواب وهو الاستمتاع بالخلاق. فالأول البدع. والثاني اتباع الهوى، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كذبت الرسل وعصي الرب، ودخلت النار وحلت العقوبات.

فالأول من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات؛ ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى فتنه هواه، وصاحب دنيا أعجبه دنياه. وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ويعملون بخلافه، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم.<sup>(٢)</sup>

خامساً: يُحتمل أن المراد بقوله عزَّجَلَّ ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى، ويُحتمل أن المراد بذلك؛ كل من اتصف بهذه الصفات من اليهود والنصارى وسائر أهل الضلال من الأمم السابقة، وهذا أقرب، والله أعلم.



(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤ / ١٨٦)

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤ / ١٨٧)





# الفصل الخامس

## مشاققة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسوء الأدب معه

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: مشاققة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- المبحث الثاني: سوء الأدب مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

## المبحث الأول

## مشاققة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].

## الأحكام والفوائد

أولاً: مشاققة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكون بمخالفته، وعداوته، وإيذائه، وعناده.

قال الطبري في معنى ﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ﴾: أي خالفوا رسوله محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحاربوه وآذوه من بعد ما علموا أنه نبي مبعوث. (١)  
وقال ابن سعدي: أي: عاندوه وخالفوه عن عمد وعناد، لا عن جهل وغي وضلال. (٢)

ثانياً: الأعمال في الآية يُحتمل أن المراد بها أعمالهم التي يرجون ثوابها، كصلة الأرحام، وإعانة المحتاج، وغيرها، ويُحتمل أن المراد بها مشاققتهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيدهم.

قال الشوكاني: وسيحبط أعمالهم أي: يبطئها، والمراد بهذه الأعمال ما صورته صورة أعمال الخير كإطعام الطعام وصلة الأرحام وسائر ما كانوا يفعلونه من الخير وإن كانت باطلة من الأصل لأن الكفر مانع، وقيل: المراد

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاکر (٢٢ / ١٨٦)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٨٩)

بالأعمال المكائد التي نصبوها لإبطال دين الله، والغوائل التي كانوا يبغونها برسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.<sup>(١)</sup>

وقال ابن سعدي: **﴿وَسَيُحِبُّطُ أَعْمَلَهُمْ﴾** أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل، بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة والخسران، وأعمالهم التي يرجون بها الثواب، لا تقبل لعدم وجود شرطها.<sup>(٢)</sup> انتهى

والذي يظهر لي أن كلاهما صحيح، فإن كان المراد بالأعمال هي مشاقفة الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ومعاندته فإن الله محبطها لأنها كفر قال الشنقيطي: ذلك الكفر سبب لإحباط أعمالهم، كما قال تعالى: وسيحبط أعمالهم.<sup>(٣)</sup> انتهى وإن كان المراد بالأعمال، كيدهم، وخططهم، وحيلهم، فإن الله قد أحبطها، وأتم دينه وأعزه.

ثالثاً: بينت الآية الله أن الكفار **﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾** وفيها تعريضاً برجوع الضرر على الكفار أنفسهم.

قال أبو السعود: **﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾** تفسيره كما مر غير أن فيه تعريضاً ظاهراً باقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وإنما يضرّون أنفسهم.<sup>(٤)</sup>

وقال الشنقيطي: دلت هذه الآية الكريمة على أمرين. أحدهما أن الذين كفروا وصدوا غيرهم عن الحق وخالفوه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لن يضرّوا الله بكفرهم شيئاً، لأنه غني لذاته الغني المطلق.

(١) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٤٩)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٨٩)

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧ / ٣٨٧)

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢ / ١١٦)



والثاني أنهم إنما يضررون بذلك أنفسهم، لأن ذلك الكفر سبب لإحباط أعمالهم، كما قال تعالى: **وَسَيَحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ** ﴿١﴾.

رابعاً: مشاققة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في حياته تكون بعداوته، وعناده، وإيذائه، ومخالفته ومشاققة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعد مماته تكون بمخالفة أمره ومحاربة سنته.

خامساً: لم يذكر الله **عَزَّجَلَّ** في هذه الآية أن مشاققة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، سبباً لدخول النار، ولكنه بين ذلك في قوله **عَزَّجَلَّ** ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ، جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).



## المبحث الثاني

## سوء الأدب مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢].

## الأحكام والفوائد

أولاً: دلت الآية على أن سوء الأدب مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محبط للعمل، ومن صور سوء الأدب معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رفع الصوت فوق صوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والجهر له بالقول، هذه الآية الكريمة علم الله فيها المؤمنين أن يعظموا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحترموه ويوقروه، فنهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته، وعن أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، أي ينادونه باسمه: يا محمد، يا أحمد، كما ينادي بعضهم بعضاً، وإنما أمروا أن يخاطبوه خطاباً يليق بمقامه ليس كخطاب بعضهم لبعض، كأن يقولوا: يا نبي الله أو يا رسول الله ونحو ذلك، وقوله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي لا تفعلوا ذلك لئلا تحبط أعمالكم، أو ينهاكم عن ذلك كراهة ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ أي: لا تعلمون بذلك.<sup>(١)</sup>

ثانياً: النهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينسخ بموته.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٤٠١)

قال القرطبي: وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.  
وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفا لهم، إذ هم ورثة  
الأنبياء. (١)

ثالثاً: قال القرطبي: وفي هذا دليل على أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقاً  
حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافتة، وإنما نهوا عن جهر  
مخصوص مقيد بصفة، أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما  
بينهم، وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب  
وإن جلت عن رتبها. (٢)

رابعاً: دلت الآية على أن حبوط العمل قد يقع والعبد لا يشعر بذلك،  
قال ابن كثير: قوله: ﴿ **أَنْ تَحَبَّطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾ (٣) أي: إنما نهيناكم  
عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط  
الله عمل من أغضبه وهو لا يدري، كما جاء في الصحيح: «إن الرجل ليتكلم  
بالكلمة من رضوان الله لا يُلقِي لها بالاً يكتب له بها الجنة. وإن الرجل ليتكلم  
بالكلمة من سَخَطِ الله لا يُلقِي لها بالاً يَهْوِي بها في النار أبعد ما بين السموات  
والأرض» (٣). (٤)

خامساً: قال ابن عطية: وظاهر الآية أنها مخاطبة لفضلاء المؤمنين الذين  
لا يفعلون ذلك احتقاراً، وذلك أنه لا يقال لمنافق يعمل ذلك جرأة وأنت

(١) تفسير القرطبي (١٦ / ٣٠٧)

(٢) تفسير القرطبي (١٦ / ٣٠٦)

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٨)

(٤) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٧ / ٣٦٨)





لا تشعر، لأنه ليس له عمل يعتقد أنه هو عملا. (١) انتهى

ويدل على ما ذهب إليه ابن عطية ما روي في سبب نزول هذه الآية.

قال البخاري باب ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾

عن ابن أبي مليكة قَالَ كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبٌ بَنِي تَمِيمٍ فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ قَالَ نَافِعٌ لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي قَالَ مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ فَانزَلَ اللَّهُ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآية قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ فَاتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكَسًا رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ شَرٌّ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَاتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ مُوسَى فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ فَقَالَ: «أَذْهَبَ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (٢)

\*\*\*

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥ / ١٤٥)

(٢) صحيح البخاري ت (١٠٧ / ١٢)

## الخاتمة

تم بحمد الله وفضله سبحانه، فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله العظيم، وأشكر الله **عَزَّوَجَلَّ** الذي وفقني لأن أشغل وقتي وجهدي في تعلم كتابه وتدبره، ثم أشكر المشايخ الفضلاء، الذين بذلوا أوقاتهم وجهدهم لتعليمنا كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

### أهم النتائج: ❁

- \* الحبط في اللغة: بمعنى الإبطال.
- \* الحبط في الاصطلاح: بمعنى بطلان العمل الصالح، وعدم الاعتداد به.
- \* هناك ألفاظ مقاربة لمعنى الحبط جاءت في القرآن الكريم ومنها إبطال العمل. إضلال الأعمال. إضاعة العمل. وتر العمل.
- \* الشرك الأكبر هو الذي يحبط جميع الأعمال، ويخلد صاحبه في نار جهنم.
- \* الشرك لا يقبل معه عمل، لأنه ينافي الإخلاص الذي هو شرط لقبول العمل.
- \* الشرك محبط لجميع الأعمال، في جميع الشرائع السماوية.
- \* الشرك مستحيل وقوعه على الأنبياء، وقد عصمهم الله من ذلك.
- \* حبوط الأعمال بالردة، مقيدة بحصول الردة والموت عليها.
- \* إذا تاب المرتد رد الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه ما حبط من الأعمال.
- \* من أكره على الكفر، لا يحكم عليه بالردة، ولا تحبط أعماله.
- \* خطورة كيد الكفار وأنه من أسباب الردة عن الإسلام.



- \* الكفر الأكبر محبط لجميع الأعمال، وقد دل على هذا ظاهر الآيات.
- \* يحصل حبوط العمل، إذا كفر العبد بكل أو ببعض ما وجب الإيمان به.
- \* قرن الله **عَزَّوَجَلَّ** بين قتل الأنبياء، وقتل الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وفي هذا بيان لشناعة هذا الذنب العظيم.
- \* النفاق الأكبر محبط لجميع الأعمال، لأن النفاق الأكبر مضاد للإيمان، بالله ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.
- \* يجب على المسلم أن يحذر على نفسه من النفاق.
- \* صفات المنافقين كثيرة في القرآن والسنة، ومما جاء في هاتين الآيتين، أن في قلوبهم مرض الشك والريب، وأن يسارعون في مولاة الكفار على المسلمين، وأنهم لا يتوكلون على الله حق التوكل.
- \* الذي يحبط الأعمال، هو كره الشرع، وليس كره الطبع.
- \* كره الشرع محبط للعمل، وكفر بالله **عَزَّوَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وإن عمل به.
- \* المقصود بما أسخط الله هو الكفر والفسوق والعصيان.
- \* المقصود برضوان الله هو الإسلام والإيمان والطاعة.
- \* اتباع ما يسخط الله **عَزَّوَجَلَّ** وكرهه رضوانه محبط للعمل.
- \* وجه متابعة أهل الضلال في الآية؛ هي من جهة المشابهة لأفعالهم وأقوالهم.
- \* اتباع أهل الضلال محبط للعمل، لأن أعمالهم وأقوالهم أحبطت أعمالهم، فكذا من اتبعهم وشابههم في ذلك فستحبط أعماله مثلما حبطت أعمالهم.

- \* مشاققة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكون بمخالفته، وعداوته، وإيذائه، وعناده.
- \* الأعمال في الآية يُحتمل أن المراد بها أعمالهم التي يرجون ثوابها، كصلة الأرحام، وإعانة المحتاج، وغيرها، ويُحتمل أن المراد بها مشاققتهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيدهم.
- \* مشاققة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته تكون بعداوته، وعناده، وإيذائه، ومخالفته ومشاققة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مماته تكون بمخالفة أمره ومحاربة سنته.
- \* سوء الأدب مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محبط للعمل، ومن صور سوء الأدب معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رفع الصوت فوق صوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والجهر له بالقول.
- \* النهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينسخ بموته.
- \* حبوط العمل قد يقع والعبد لا يشعر بذلك.

#### أهم التوصيات:

- \* العناية بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ تدبراً وعملاً.
- \* العناية بالتفسير الموضوعي.
- \* توسيع دائرة البحث في محبطات الأعمال في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- \* توعية المسلمين بمحبطات الأعمال، من خلال الدروس العلمية، والمحاضرات، وخطب الجمعة.

\*\*\*



## فهرس المصادر والمراجع

## أولاً: التفسير:

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ).
٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ).
٣. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ).
٤. تفسير العلامة محمد العثيمين المؤلف: محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).
٥. تفسير القرآن العظيم. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ).
٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ).
٧. جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).
٨. الجامع لأحكام القرآن. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ).
٩. فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ).



١٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ).
١١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ).

### ❁ ثانياً: السنة النبوية :

١. سنن ابن ماجه. المؤلف: ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ).
٢. سنن أبي داود. المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ).
٣. سنن الترمذي. المؤلف: محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ).
٤. سنن النسائي. المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ).
٥. صحيح البخاري. المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي.
٦. صحيح مسلم. المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ).
٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل. المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ).





## ثالثاً: علوم القرآن الكريم:

١. الإتقان في علوم القرآن. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).
٢. البرهان في علوم القرآن. المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ).
٣. معاني القرآن. المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ).
٤. معاني القرآن. المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ).
٥. المفردات في غريب القرآن. المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠هـ).

## رابعاً: الغريب والمعجم:

١. تاج العروس من جواهر القاموس. المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥).
٢. مقاييس اللغة. المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ).

## خامساً: التراجم:

١. الأعلام. المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: ١٣٩هـ).
٢. تذكرة الحفاظ. المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).



٣. تهذيب التهذيب. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ).
٤. طبقات المفسرين للداوودي. المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ).



## فهرس الأعلام

١. ابن جرير الطَّبْرِي (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. الأعلام للزركلي (٦/ ٦٩).
٢. ابن سَعْدِي (١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدِي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٠).
٣. ابن عَاشُور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٤).
٤. ابن عثيمين (١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ)، محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهبي التميمي، عالم وفقه سعودي، وأستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء.
٥. ابن عَطِيَّة (٤٨١ - ٥٤٢ هـ) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٢).
٦. ابن فارس (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. الأعلام للزركلي (١/ ١٩٣).
٧. ابن كَثِير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوَّب بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. الأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠).

٨. أَبُو السُّعُود (٨٩٨ - ٩٨٢ هـ = ١٤٩٣ - ١٥٧٤ م) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية. الأعلام للزركلي (٧ / ٥٩).
٩. الإمام مُسْلِم (٢٠٤ - ٢٦١ هـ) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين: حافظ، من أئمة المحدثين. ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه (صحيح مسلم - ط) الأعلام للزركلي (٧ / ٢٢١).
١٠. البُخَارِي (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صاحب (الجامع الصحيح - ط) المعروف بصحيح البخاري الأعلام للزركلي (٦ / ٣٤).
١١. البِقَاعِي (٨٠٩ - ٨٨٥ هـ) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. الأعلام للزركلي (١ / ٥٦).
١٢. الجَلَّال السُّيُوطِي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. الأعلام للزركلي (٣ / ٣٠١).
١٣. الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِي (٥٠٢ - ٥٠٠ هـ) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. الأعلام للزركلي (٢ / ٢٥٥).
١٤. الزَّرْكَشِي (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقهِ الشافعية والأصول. الأعلام للزركلي (٦ / ٦٠).



١٥. الشَّنْقِيطِي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها. الأعلام للزركلي (٦ / ٤٥).
١٦. الشُّوْكَانِي (١٢٢٩ - ١٢٨١ هـ) أحمد بن محمد بن علي الشوكاني: قاض، من فضلاء اليمانيين، من أهل صنعاء وهو ابن العلامة (الشوكاني) الكبير. الأعلام للزركلي (١ / ٢٤٦).
١٧. القُرْطُوبِي (٦٧١ - ١٠٠٠ هـ) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَّح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه "الجامع لأحكام القرآن - ط" الأعلام للزركلي (٥ / ٣٢٢).



## فهرس الموضوعات

٣	..... المقدمة
٩	..... الفصل الأول: مفهوم الحبط وما في معناه
١٠	..... ■ المبحث الأول: تعريف الحبط لغة واصطلاحاً
١١	..... ■ المبحث الثاني: الألفاظ المقاربة للحبط ومعانيها
١٣	..... الفصل الثاني: الشرك والردة والكفر بالله
١٤	..... ■ المبحث الأول: الشرك
٢١	..... ■ المبحث الثاني: الردة
٢٨	..... ■ المبحث الثالث: الكفر
٣٥	..... الفصل الثالث: النفاق وكرهية شيء من القرآن
٣٦	..... ■ المبحث الأول: النفاق
٤٢	..... ■ المبحث الثاني: كراهية شيء من القرآن
٤٨	..... الفصل الرابع: اتباع ما أسخط الله، ومتابعة أهل الضلال
٤٩	..... ■ المبحث الأول: اتباع ما أسخط الله
٥٢	..... ■ المبحث الثاني: متابعة أهل الضلال
٥٦	..... الفصل الخامس: مشاققة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسوء الأدب معه
٥٧	..... ■ المبحث الأول: مشاققة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٦٠	..... ■ المبحث الثاني: سوء الأدب مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٦٣	..... الخاتمة
٦٦	..... فهرس المصادر والمراجع
٧٠	..... فهرس الأعلام

